ثقافة

معرض

مقام آخر للزمن الأوّل

محلّات ما يحفظه يوسف أحمد عن ظهر قلب

في معرضه المُقام حالياً بالدوحة، يستعيد التشكيلي القطري، من خلال خمس وثلاثين لوحة زيتية، معالمَ منطقة مشيرب في العاصمة القطرية خلال الخمسينيات والستّينيات

الدوحة ـ **محمد هديب**

تجربتان للتشكيلي القطري يوسف أحمد، خلال هذا العام، بدأ إحداهما في فبراير/ شباط الماضي، حملت عنوان «لينْ يطْرى عليّ لوّل» (حينما يخطر لي الزمن الأوّل)، والثانية الأسبوع الماضي في معرضه الجديد «محلّات»، وكلتاهما تسترجع روح الدوحة القديمة، حيث طرأت تحوُّلات كبرى على رموزها المكانية.

لا تنفصل الاثنتان إلى فضاءَين، بل بدت التجربة الأولى بما فيها من بيوت وفِرجان (أحياء) ودواعيس (أزقّة) وحتى بعض الدكاكين، محفّزة لاسترجاع محلّات أغلبها انتقل من مكانه، والبعض القليل بقي مع تطوير يناسب وسط المدينة المبني على طراز حديث. وقد تبدو اللوحات الخمس والثلاثون تفصيلاً من الدوحة القديمة، المسترجَعة في معرض سابق، لكنها حتماً أبعد من ذلك. فحيث يُقام المعرض الآن في «متحف محمد بن جاسم»، ويستمر حتى نهاية شباط/ فبراير المقبل، كانت هذه هي مشيرب، بذرة المدينة خلال عقد الخمسينيات، ومن هنا تشكّلت حاضنة خليطة في شوارع أبرزها شارعا الكهرباء وعبد الله بن ثاني.

توسّعَت المدينة دون حدود حاسمة بين مشيرب وما جاورها، غير أن هذين الشارعين أصبحا لستّة عقود، بدءاً من الخمسينيات، العلامةَ الأبرز لتنوّع الجنسيات، كان الحضور الواضح فيها عربياً للشوام من فلسطينيّين ولبنانيّين على وجه الخصوص.

ما الذي دفع يوسف أحمد ليستعيد صور المحلّات القديمة؟

للفنان ذاكرة بصرية وحكائية ممتازة. لم يجعل من «محلّاته» موازياً للصور التسجيلية، بل ممّا استقر في روحه. حتى إنّ بعض اللوحات رسمها قبل أن تطرأ عليها تعديلات طبيعية.

ذهب بريشة عريضة إلى الأماكن التي استقطبت من سكن داخل الدوحة وخارجها، ولذا جاءت رسوماته انطباعية، كما لو أنه يرسم في النهار تحت شمس شتوية، ما يحفظه عن ظهر قلب.

جميع اللوحات تظهر بسماء زرقاء، وهي الزرقة التي اعتادتها العين بدءاً من شهر سبتمبر/ أيلول واحتجابها في شهور الصيف.

عقب تصدير أوّل شحنة نفطية عام 1949، بدأت الدوحة باستقبال جموع من جنسيات عديدة. وستفتتح في منتصف العقد التالي أوّل محطّة كهربائية، ورُكِّب كابل كهرباء تحت الأرض، وأُطلق على الخطّ الذي يعمل بواسطة الكابل اسم «شارع الكهرباء».

ستتراجع العمارة التقليدية مع دخول مادّة الأسمنت، وستشهد المدينة شوارع عريضة، لم تكن مألوفة في الأحياء السابقة ودواعيسها، ممّا ينتمي إلى ذاكرة رومانسية، فَرضت عليها الحياة الجديدة تغييرات جذرية.

إلّا أن عقوداً ستّة تالية شكّلت لِمن هم في جيل يوسف أحمد (1953) مجالاً مؤثّراً ومفارقاً، وبؤرته الخصبة هي مشيرب.

عليه، فإنّ استحضار المحلّات غير التسجيلي، إنّما هو استحضار لشريط من الحركة والأنفاس والوجود الذي تواصل على يد من أصبحوا سلالات، بعضهم أجداد على قيد الحياة يتذكّرون، هم أنفسهم في ذلك الزمن شباب يحلمون.

ثمة صور فوتوغرافية مشهورة لكثرة تداولها، بيد أن الفنان عرف من أي زاوية جديدة يمكنه أن يفعل شيئاً مغايراً.

ربما لا تجد في المدونات التاريخية أو الفنية اسم «إدوارد»، إلا أنّه حاضر مع سميّه الخطّاط يوسف أحمد قبل أن يكون التشكيلي المعروف. هذا الرجل اللبناني، إدوارد، هو من كتب منذ الخمسينيات الكثير من الآرمات التي بدأت تحتشد في وسط البلد. فتحت تجربة «لوحات» شهية الخطاط في تحية لإدوارد الذي غادر عالمنا أواخر عقد السبعينيات.

محلّات ليست بسيطة إلّا حينما تقارَن بتحوّلاتها واتّساعاتها فيما بعد. في ذلك الوقت كانت هي كل ما يُمثّل مستلزمات الحياة. وهذا لا يتوافر في «المول» المعاصر، وما يفضّله من بطاقات ائتمانية وبطاقات الصرّاف الآلي.

هنا «مطعم بيروت للحمص والفول والفلافل»، ومقابله «بقالة صيدا». هنا «محلّ شهاب للأقمشة»، وهناك محلّ «أحذية يافا»، وهنا «معصرة الربيع»، و«متجر الطائف»، و«استوديو السلام»، و«دكّان عباس»، و«البيت الحديث»، و«صفّار الفريج» (مبيّض النحاس)، و«دكّان الساعي»، و«مخبز الجسرة»، و«مصنع الثلج»، و«صيدلية الباكر»، و«دكّان حاجي غلوم»، و«نوفوتيه فونتانا».

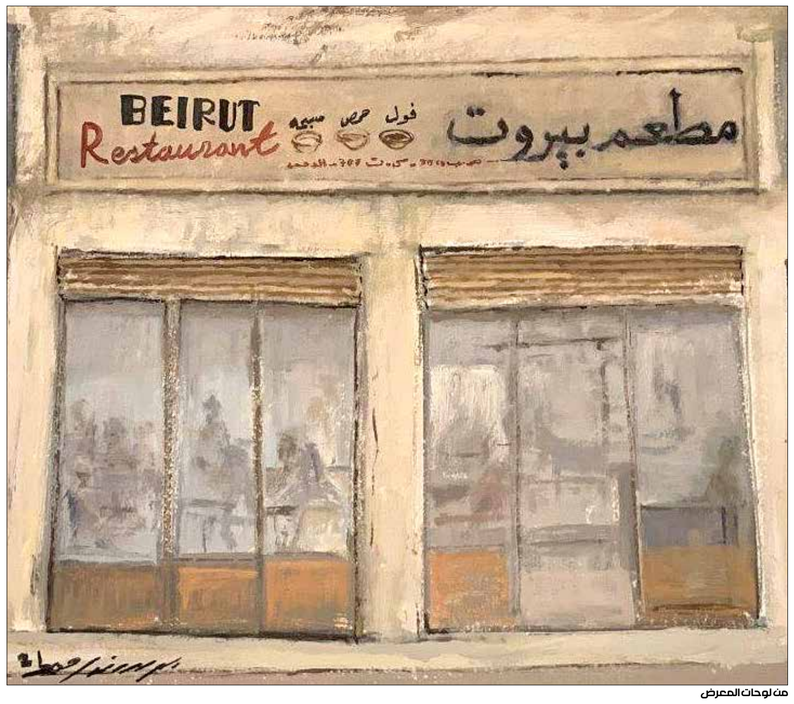

تأتي الجموع كل يوم، بحثاً عن أغراضها، لكنها تحتشد يوَمي الخميس والجمعة، في ساحة مستطيلة بحذاء الشارع المفضي إلى البنك العربي وسوق واقِف. أمامك شارعان، على اليمين «عبد الله بن ثاني»، وعلى اليسار «شارع الكهرباء»، وكلاهما كان على الجنبين محلّات تستقبل شارياً، أو جائعاً، أو أياً كان يتقاسم مع صاحب المحل صفة واحدة: كلانا صاحب حاجة، أقرب إلى الوضوح، وأبعد كثيراً عن النزوع الاستهلاكي.

قيل في بعض تخيُّلات أو أوهام أو حسابات تجريدية لم تُحقّق بعد، إنّ الأصوات لا تزول، بل تبقى عالقة في طبقة من طبقات الجو.

هذه آرمة «الجمهورية العربية المتّحدة». من الواضح أن مفتوناً بتلك الجمهورية التي تأسّست عام 1958 بين مصر وسورية، قرّر أن يجعلها اسماً لبقالته.

لا نعرف من خطّ الآرمة. ربما إدوارد، وربما غيره. من صاحب البقالة؟ هذا ليس مجال تحقيق استقصائي.

للفنّان أن يمرّ بريشته، ويترك نفسه والآخرين أن يسعوا وراء أصواتهم، التي ليست حتى الآن في أي طبقة جويّة، بل في دواخلهم حين يصيخون السمع صامتِين.

من لوحات المعرض

> كما لو أنه يرسم تحت شمس شتوية ما يحفظه عن ظهر قلب

> ليست اللوحات موازياً للصُّوَر، بل هي ممّا استقر في روحه

خمسة عقود

في لوحاته، يمزج يوسف أحمد (مواليد حيّ الجسرة في الدوحة عام 1955/ الصورة) الأسلوب الواقعي بالحروفيات التي طوّرها خلال تجربته الممتدّة لخمسة عقود، والتي وظّف فيها الفن الحروفي والمنسوجات والأشكال الهندسية، منفتحاً على طيف واسع من الألوان والمواد. يتناول بعض تلك اللوحات البيئة التقليدية؛ حيث تظهر الأحياء والبيوت والجموع والمرأة وملابسها، والرقص الشعبي الذي يؤدّيه الرجال في المناسبات والأعياد.

تصويب

عطلة لو تطول

محمد علاوة حاجي

مع اقتراب 2021 مِن نهايته، باتَ مؤكَّداً أنَّ أيّاً مِن التظاهرُات الثقافية البارزة في الجزائر لن تُقام هذا العام؛ بدءاً مِن «معرض الجزائر الدولي للكتاب» الذي كان القائمون عليه يُعلنون عن موعدٍ لتنظيم دورته الخامسة والعشرين ثمّ يتراجعون عنها سريعاً كُلَّ مرّة، ووصولاً إلى «المهرجان الدولي للفيلم الملتزم» الذي أصدر منظّموه، قبل أيّام، بياناً أعلنوا فيه تأجيل دورته الحادية عشرة التي كان مفترَضاً تنظيمُها في كانون الأوّل/ ديسمبر الجاري. كما هو الأمرُ بالنسبة إلى جميع الفعاليات الأُخرى، كانت جائحة كورونا السببَ المعلَن لتأجيل «مهرجان الفيلم الملتزم». لكنْ علينا الانتباه إلى مُلاحظة بسيطة: لم يُعلِن منظِّمو المهرجان، في وقت سابق، عن نيّتهم إقامةَ دورته المقبِلة هذا الشهر، ولم يُحدّدوا تاريخاً لذلك، ولم يَكشفوا عن ملصقها الرسميّ أو برنامج عروضِها، أو أسماء ضيوفها، ثُمّ أعلنوا مباشرةً عن تأجيلها. يعني ذلك أنّهُم لم يكونوا في وارد تنظيمها، أي أنّهُم قرّروا تأجيل فعاليةٍ مؤجَّلة مِن الأساس.

تُخبرنا الملاحَظة والفرضيّةُ المترتّبةُ عنها أنَّ القائمين على المشهد الثقافي، الخامِل أصلاً في الجزائر، وجدوا في كورونا عطلةً ربّما يتمنّون أن تطول. يُدلّل على ذلك الاستسهالُ في إلغاء كلّ فعالياته الأساسية خلال العام الحالي والذي سبقه. لنتذكّر أنَّ الفترةَ نفسَها شهدت تنظيم ثلاثة انتخابات أُقيمت خلالها تجمُّعاتٌ لم تُحترم فيها أيٌّ من إجراءات الوقاية.

صوت جديد

الشعر بوصفه خَلاصاً إنسانياً

وسام الموسوي

وسام الموسوي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

المثنى (العراق) ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

الكتابة الجديدة، برأيي، هي إعادة تأهيل للشاعرية بطريقةٍ أجمل، شريطة أن تتّخذ أسلوباً جديداً من حيث اللغة والفكرة معاً، لا سيَّما الأفكار المبتكرة بطريقة مفكَّر بها. ناهيك عن الجديّة التي تأخذ منحنيات أخرى في عملية الكتابة التي هي مَهمَّة شاقّة ولذيذة في الوقت نفسه.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيلٍ أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

برأيي، الشاعر الذي يهتمّ بهذه التفاصيل، سيكون فريسةً لفخاخ التأثّر بمَن قبله أو بمجايليه. لا أهتمّ شخصياً بهذه المفاهيم، لأنَّها تضع الشاعر في محدوديةٍ واضحة، وهذا لا يُحَصِّنَه من فخِّ تكرار تجارب مَن سبقوه أو مجايليه. الشاعر الجادّ علامة منفلتة على الأبد، وحقيقة لا تكفّ عن كونها صورة مكثّفة للتحرُّر من كلِّ ما هو مكتوب وسيُكتَب.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

العَلاقة هنا تتَّبع ثقافة الشاعر، ورأيَه بما يُطرح من أيِّ جيل قبله أو معه. شخصيّاً، علاقتي مع الشعر لا مع الشعراء، ولأسباب تَتَعَلَّق بما أفكّر فيه، من خلال الإخلاصِ لمفهوم الشعر الذي أعتبره خلاصاً إنسانياً، بعيداً عن كلّ الدخلاء عليه. «الأجيال» مفهوم أكاديمي وأنا بعيد جداً عن الأكاديمية التي تضع الشعر بين قوسين في أغلب الأوقات، رغم أن الشعر هو الصورة المكثَّفة للتحرُّر والانفلات معاً.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

أعترف بأنّي بعيد جدّاً وشبه منعزل عن الوسط الثقافي، لأنّي أعتبر أن بعض الأوساط الثقافيّة، التي تقود المؤسّسات الثقافية وتتصدّر المشهد، مؤدلجة، أو تُطوّع الثقافة لتوجّهاتها، وهي لا يعوّل عليها، لأنها لم تخرج وفْق ما يتطلّبه الموقف الوطني تجاه كلّ مَن أراد سوءاً بهذه البلاد: العراق.

■ كيف صدر كتابك الأوّل وكم كان عمرك؟

اكتمل كتابي في سنة 2016، وبقيت متريِّثاً في ما يخصّ طباعته، لظروف شخصية، حتى أصدرته في 2019 عن «دار عدنان للطباعة والنشر». وكان عمري وقتها 29 عاماً.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

لي كتاب عنوانه «قلق الطين»، وهو عبارة عن تساؤلات حول ثورة تشرين العراقية وأحداثها عام 2019، ولديَّ مجموعة شعرية ثانية ستكتمل قريباً.

> الأجيال مفهوم أكاديمي والشِّعر صورة مكثّفة للتحرُّر والانفلات

بطاقة

شاعر من العراق، من مواليد عام 1990. أصدر مجموعته الشعرية الأولى، «ألهو مع الهاوية»، عام 2019. تُرجمت نصوصٌ له إلى الإنكليزية، والبلغارية، الفرنسية، والفارسية. ينشر في العديد من الصحف العراقية والعربية.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

إطلالة

انقسامٌ روائيّ حول دور اللغة

ابتكار أم توصيل؟

تشهد الكتابة الروائية العربية ما يشبه الانقسام بين اتّجاهين حول شأن اللغة، ليس بوصفها نحواً وصرفاً، بل من حيث استخدامها في النص الروائي

ممدوح عزام

ثمة، من بين الروائيين، مَن يرفضون أن يرفدوا اللغة الروائية بأيّ صورة أو استعارة أو مجاز، ويطلقون على الاهتمام بلغة الكتابة: البلاغة الفارغة. إذ إنّ مهمّة اللغة، هنا، هي إيصال الفكرة والحدث فقط، باعتبار أن الرواية حدثٌ يُقال، وخطابٌ يُقَدَّم فحسب. وبسبب هذا الاستبعاد، صارت اللغة في الرواية نحواً خالصاً ينصبّ الاهتمام فيه على صحّة القواعد وصواب الاستخدام المعجمي. أي أن اللغة، هنا، تتحوّل إلى أداة تنفيذية لا شُغل لها غير إيصال الفكرة والمعنى.

وفي هذا الباب تشهد الكتابة الروائية العربية ما يشبه الانقسام بين اتّجاهين حول شأن اللغة ودورها في الكتابة. والانقسام أو الخلاف لا يتعلّق بالنحو والصرف وبناء الجملة وعلاقة الفاعل والمفعول به أو المبتدأ والخبر، بل باللغة من حيث الدور والوظيفة وأشكال استخدام هذا الدور في النصّ الروائي.

ولكنْ إذا تأمّلنا النصّ بوصفه طاقةً مثلاً، طاقةً عاطفية أو روحية أو فكرية، فإنّ قدْراً كبيراً من هذه الطاقة سوف يفسد بسبب رداءة أداة التوصيل، أو بسبب عاديّتها. ومن المعروف في حقلٍ مختلفٍ تماماً هو الكهرباء، أن الطاقةَ الكهربائية يمكن أن تتعرّض للخلل والنقص في حال اختلفت كابلات نقل الطاقة من حيث جودة الصنع. وقُلْ مثل ذلك عن أنابيب المياه وغيرها من أدوات النقل، وهي أدوات توصيل أيضاً.

ولهذا، فإنّ وصول المعنى ـ إذا ما ارتضينا بمبدأ أن اللغة أداةُ توصيل فقط ـ قد يتعرّض للفساد أو قد تضيع منه، كما تضيع طاقة الكهرباء، أجزاءٌ هامة في حال كانت اللغة ركيكة، أو كانت مقعّرة وصعبة، أو كانت فقيرة وضحلة. والقضية ليست براعةً في الزخرفة، أو في البلاغة، بل براعة في التوصيل.

واللافت أن حياتنا اليومية نفسها لا تتحرّك دون استعاراتٍ مثلاً، بل إن الناس يستخدمون الاستعارة بوصفها حاجة أو ضرورة عمليّة يحتاجها المرء في إنشاء وتمتين علاقة التواصل مع الآخرين في معظم المواقف الاجتماعية التي تتطلّب تبادُل الكلام.

ولدى جورج لايكوف ومارك جونسون، في كتابهما المشترك الذي يحمل عنواناً لافتاً هو «الاستعارات التي نحيا بها» (ترجمة عبد المجيد جحفة، «دار توبقال»، 1996)، جداولُ شديدة الإثارة من ناحية التنبيه إلى استخدام الاستعارة نفسها في الحكي اليومي العادي بين الناس دون أن يكونوا قاصدين.

وأفضل ما يشيران إليه هو أن الاستعارة ليست مسألة متعلّقة بالألفاظ، بل بالتفكير نفسه. وهو ما يعني أنّ لكلّ كاتب قدرةً على ابتكار استعارة خاصة به، كما أنّ لكل ثقافة استعارةً تخصُّها، بسبب اختلاف البيئات الفيزيائي، وهذا بدوره يساعد في رسم الخطوط البيانية لطبيعة التعبير لدى الشعوب التي تعيش في أمكنة مختلفة. هذا ما يضع بعض الكتابات الروائية في مأزق، وخصوصاً تلك التي يتّجه كُتّابها نحو اللغة المغلقة الخالية من أيّ مجاز أو صورة أو استعارة. فابتكار الاستعارة لا يعني إغناء اللغة الأدبية وحدها وحسب، بل دفْع الثقافة نفسها نحو فهم جديد ومبتكر للحياة والمشاعر والعلاقات الإنسانية، بل والعلاقة مع الطبيعة والأشياء، من جهة، وتجديد الثقافات بإضافات استعارية تحاول فهم العالم المتغير من حولها، من جهة ثانية.

(روائي من سورية)

> يمكن للاستعارة الأدبية أن تدفع الثقافة نحو فهم جديد للحياة

«امتدّ إليك» لـ ضياء العزاوي (العراق)، زيت على قماش، 1972

فعاليات

حتى العاشر من الشهر الجاري، يتواصل معرض **رسالة إلى الأب** للكاتبة والفنانة اللبنانية **شذا شرف الدين** في «مركز مينا للصورة» ببيروت. يستند المعرض المقام منذ العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي إلى كتاب بالعنوان ذاته للكاتب التشيكي فرانز كافكا، حيث تعيد تركيب نصّه في مجموعة من اللوحات.

ضمن سلسلة ندوات بعنوان **مدخل إلى التحليل النفسي**، تلقي الباحثة التونسية **رجاء بن سلامة**، بداية من الثانية والنصف بعد ظهر اليوم، محاضرة بعنوان **ما هي البارانويا؟** في «قاعة أحمد إبراهيم» بكلية الآداب بمنوبة قرب تونس العاصمة. من مؤلّفات بن سلامة: «بنيان الفحولة»، و«العشق والكتابة»، و«في نقد إنسان الجموع»، و«نقد الثوابت: آراء في العنف والتمييز».

بداية من اليوم، وعلى مدى ثلاثة أيام، تُقام في مدينة غوتبورغ السويدية الدورة الثانية من **معرض الكتاب العربي**، الذي يحمل في هذه الدورة شعار «الكتاب صديق الغربة». ينظّم المعرض موقعُ ودار «صفحات»، ويضمّ كتباً من دور نشر عربية مثل: «دار ممدوح عدوان»، و«التنوير»، و«المتوسط»، و«التكوين».

قول للزمان هو عنوان عرضٍ مسرحيّ يقام بدايةً من السابعة من مساء اليوم الجمعة، على خشبة «المسرح الصغير» ضمن مبنى «مكتبة الإسكندرية» في المدينة المصرية. العمل من إخراج **طارق نادر**، وهو يقوم على تركيب لوحات من الأداء الجسدي. من أعمال نادر الأخرى: «أسود» و«محطّة الدنيا الجديدة».